في النقد التطبيقي

ديوان " عناق الهدى والهوى "

للشاعر سعيد ساجد الكرواني

بقلم: د. عبدالرحمن حوطش*

تعزز ساحة الأدب الإسلامي يوما عن يوم بعدد من الأعمال الشعرية والقصصية والنقدية وغيرها من الأعمال العلمية والإبداعية التي تصب كلها في مصب واحد ، هو دعم دولة الأدب الإسلامي الذي يمثل اليوم أحد أهم المشاهد الثقافية والفكرية في عالمنا العربي والإسلامي المترامي الأطراف؛ فقد أصبحت ساحة هذا الأدب ممتلئة بالشعراء والقصاصين والنقاد والدارسين ، منهم من اشتد عوده ، ونضج عطاؤه ، واستوت ساقه على القول الفني الرصين، ومنهم من لا يزال غضا يلتمس طريقه ، ويبحث له عن موطئ يضع عليه قدمه ، لينطلق في الاتجاه الصحيح ، والمعبر الآمن الذي يوصله إلى غايته المتوخاة؛ ألا وهي : الحصول على شرف الانتماء إلى موكب شعراء الحركة الإسلامية النابهين الذين يؤسسون لهذا الأدب أصوله وقواعده .

في هذا السياق ، ووسط هذه الأجواء المفعمة بالعطاء الأدبي الإسلامي، يطلع أحد العاملين في حقل الثقافة والأدب الإسلاميين من مدينة تازة المغربية العريقة ؛ هو سعيد ساجد الكرواني ؛ يطلع على قراء الأدب الإسلامي بمجموعة من الأعمال الشعرية ذات رؤية إسلامية عريقة ؛ مثل : "شلال النور" و"سِفر الوردة والميزان" و"دوحة البلسم الأخضر" وأخيراً "عناق الهدى والهوى" .

وإن هذه المجموعة الأخيرة لتمثل تحولاً مهماً في الكتابة الشعرية لدى سعيد الكرواني؛ ولقد لاحظت ذلك بالموازنة بينها وبين بقية المجموعات الشعرية التي اطلعت عليها ، وبخاصة تلك التي أشرت إليها قبل قليل.

هذه المجموعة تشتمل على ثلاث عشرة مقطوعة ، هي على التوالي:

ساكنتي ، شعار ، عناق الهدى والهوى ، مشكاة ، شرافيات ، روض الياسمين ، قطر الندى وبلُّ الصدى ، رذاذ ورحيق ، شجرة اليقين ، مشكاة المصابيح ، الفجر الباسم .

وإن التحول المهم المشار إليه، يمكن تلمسه من خلال مظاهر عدة، أكتفي هنا بالتنصيص على ثلاثة؛ وهي:

العناية الواضحة باللغة الشعرية

وهي في رأيي مشكلة المشكلات في التجارب الشعرية الإسلامية المعاصرة – فبالإضافة إلى ما تتسم به لغة هذه المقطوعات من رقة وشفافية، وقوة إيحاء – وهي سمات مهمة في لغة الشعر عموماً– هناك هذا

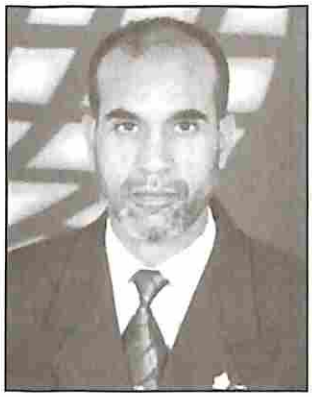

سعيد ساجد الكرواني

النحت البارز من لغة القرآن الكريم، إذ لا تكاد تخلو مقطوعة من مقطوعات هذه المجموعة ، من كلمة أو عبارة مصدرها هذا الكتاب العزيز. وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن أن أذكر كلمات: "أجاء المخاض"(١)، و"غيض نهري"(٢)، و"بينهما برزخ يبغيان"(٣)، و"تتفيأ ظل المساء"(٤)، و"فإن لم يكن وابل فطل"(٥)، و"الدلوك"(٦)، و"الغسق"(٧)، و"صرح ممرد"(٨). وغيرها من الكلمات والتعابير التي وظفها توظيفاً فنياً ودلالياً يمتزج فيه المبنى والمعنى إلى درجة لا يحس معها القارئ بأي نشاز، أو تخلخل في البناء العام للمقطوعة الشعرية.

ضمان قدر مهم من عناصر الإيقاع

فإلى جانب الاحتفاء بالقافية الخارجية، وبالنسج على تفاعيل بعض البحور، مثل: المتقارب والمتدارك والرجز والرمل... هناك انتقاء بيِّن لكلمات ذات أصوات متجانسة تسمح ببروز ما يسمى "النغم الشعري" الذي يساعد على إحداث موسيقى داخلية، تسهم كذلك في تشكيل الموسيقى الشعرية التي لا يمكن أن يكون هناك شعر بغيرها.

اعتماد مقطوعات هذه المجموعة بكليتها على رؤية إبداعية تتفاعل فيها مشاعر من طراز خاص

هو عشق الجمال اللامتناهي، أي الجمال المطلق الذي لا تحدده حدود المكان والأشياء، والأبعاد والظلال؛ فعبر عنوانات كل المقطوعات الثلاث عشرة ابتداء من ساكنتي إلى الفجر الباسم، لا ترى إلا عشقاً وهياماً، واقتباساً من مشكاة الروح التي لا تنطفئ أبداً، وليس من شك في أن محاورة مثل هذه المشاعر ومناجاتها ، والتشبع بها ، مما يقوي لدى الشاعر بخاصة ملكة الإبداع، ويسير بها شوطاً بعيداً في عملية الإبداع الشعري الأصيل.

وختاماً أظنني لست مبالغاً إذا قلت: إن صاحب هذه المجموعة، له من الإمكانات الفكرية والروحية ما يساعده على مزيد من تعميق تجربته الشعرية، والرقي بها نحو الآفاق التي ستزيده تمكينا - بحول الله - من الولوج في عوالم الشعر من أبوابها العريضة، وتحقيق أمنيته الغالية في خدمة الأدب الإسلامي الرفيع . ■

قصيدة قطر الندى وبل الصدى

وروح القصيد الزلالْ
ينادي تعالْ
بوقت تأخر عند السؤالْ
ولوجاً إلى مملكات الهوى
المُتوحدة الوهج والهدى
حد الوصالْ
لسفك الدم المنحبسْ
لمحو الضلالْ، ونشر الظلالْ
ومن فيض هاتيكم المملكات
التي يرشف الطير من فيحها
ينثر النشرَ
ها خيل هذا الذي ينتظرْ
تتفيأ ظل المساءْ
وحورية الشوك في وِرده
ليلتحم الوِرْدُ والوَرْدُ في صدري
وتتبع الشيخ في خطوهِ
تعب ارتواءً
وشوقاً
وتوقاً
إلى صرحهِ
وبعد الهدى
المتآلف والمتآلقِ
يأوي الهوى
ينادي السمندل
سرب الفدا
إن قطر الندى
من أعالْ
بتأويل حقّ
وعين الخيالْ
وغرس الجمالْ
أجيجاً
ويصهرهُ
من لهيب الجلالْ
قد يبل الصدى

الهوامش:

(*) أمين عام جامعة محمد الأول في وجدة - المغرب.

(١) مقطوعة : شعار، ناظراً إلى قوله تعالى: ﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة...﴾ آية ٢٣ من سورة مريم.

(٢) مقطوعة: عناق الهدى والهوى، ناظراً إلى قوله تعالى: ﴿وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي..﴾،آية ٤٤ من سورة هود.

(٣) مقطوعة: روض الياسمين ناظراً إلى قوله تعالى: ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾، آية ٢٠ من سورة الرحمن، مع تحويل المعنى من النفي إلى الإثبات.

(٤) مقطوعة: قطر الندى وبل الصدى، ناظراً إلى قوله تعالى: ﴿يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل...﴾ آية ٤٨ من سورة النحل.

(٥) مقطوعة: رذاذ، ناظراً إلى قوله تعالى: ﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾، آية ٢٦٥ من سورة البقرة.

(٦و٧) مقطوعة: حوض اللؤلؤ، ناظراً إلى قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر...﴾ آية ٧٨ من من سورة الإسراء.

(٨) مقطوعة: شجرة اليقين، ناظراً إلى قوله تعالى : ﴿قال إنه صرح ممرد من قوارير﴾ آية ٤٤ من سورة النمل.